

بورتريه

«باسم الشعب»

أطلقت حركة الشعب ماكينتها الانتخابية، أمس، معلنة عن برنامجها الانتخابي إذا ما نجح أحد مرشحيها في دائرة بيروت الثانية، إبراهيم الحلبي (المقعد السنّي) وعمر واكيم (المقعد الأرثوذكسي)، في اختراق «لوائح السلطة». إذ تعتبر الحركة أن الانتخابات المقبلة فرصة لمصارحة الناس حول النتائج الكارثية التي أوصلتهم إليها الطبقة السياسية الحاكمة، على الصعيد السياسي والاجتماعي والاقتصادي. وأكد رئيس الحركة إبراهيم الحلبي أن أساس خوض الانتخابات سياسي، محدداً المبادئ والقناعات: «مع عروبة لبنان وضد المشاريع التفتيتية، مع فلسطين وتحريرها وضد العدو الإسرائيلي وكل من يتحالف معه من تحت الطاولة أو فوقها. مع المقاومة بكل أشكالها إن كانت مسلحة أو مدنية أو ثقافية أو شعبية وضد الغزو والاحتلال والتطبيع». في الموقف من النظام الطائفي، قال الحلبي إن المسعى هو لتغيير هذا النظام إلى نظام سياسي ديمقراطي عادل والذي يبدأ من قانون انتخابي خارج القيد الطائفي وإنهاء المحاصصة الطائفية على الكهرباء والماء والنفط والخلوي والنفائات إلى ما هنالك. وبالنسبة إلى الحلبي، فإن الأهم هو تطبيق مبدأ «من أين لك هذا، ومحاسبة كل الفاسدين، إعادة صياغة السياسة الاقتصادية والاجتماعية، تفعيل دور المرأة، استعادة الأملاك العامة، تأمين حق كل الناس في المسكن والدواء والماء والاستشفاء وغيرها من السبل الأساسية للعيش بكرامة». وختم الحلبي بإعلان شعار الحركة في الانتخابات النيابية المقبلة: «باسم الشعب».

أبو ربيع يراهن على البيارة

كان لوالده أبو خالد وشقيقه خالد الأثر الأكبر في التحاقه وأشقاؤه الأربعة الباقين بالحزب الشيوعي اللبناني. خاض الشاب البيروتي تجربة المقاومة القتالية في الشارع وخطوط التماس والتجربة الأمنية التي جعلته لصيقاً بالشخصيات القيادية في الحزب الشيوعي، وأولها جورج حاوي. كان حبيب صادق هو من أطلق عليه لقب «أبو ربيع» الذي ظل ملتصقاً به حتى اليوم. قربه من حاوي أغنى مشواره كثيراً، خصوصاً مع انتقاله برفقته إلى دمشق في الثمانينات (حقيبة أمين الجميل)، شارك الشيوعي السابق في انتفاضتي 83 و84 في العاصمة، وتسلم خلال الثانية أولى مسؤولياته الحزبية التنظيمية مسؤولاً عن منظمة الطريق الجديدة، حيث أعاد لم شمل الشيوعيين، مفتحاً مركز «القصر» في شارع عفيف الطيبي، ليصبح أحد أعضاء قيادة الشيوعي في بيروت، وعضواً في المجلس الوطني للحزب.

شكّلت بداية التسعينيات منعطفاً حاسماً في مسيرة «أبو ربيع» الذي قرر مغادرة رحلة التفرغ العسكري والتنظيمي في الحزب الشيوعي التي كان قد بدأها في عام 1975، والالتفات إلى مستقبله المهني وعائلته الجديدة. الاستقلال الاقتصادي أسهم في بلورة خياراته السياسية ووسع هوامشه. بعد انتخابات عام 1992، شكّل وعضواً من الشيوعيين حالات اعتراضية سرعان ما تحلق بعضها حول نجاح واكيم. إبراهيم الحلبي كان أحد هؤلاء، خصوصاً في ظل حالة من الميوعة السياسية ميّزت موقف الشيوعيين في تلك المرحلة. سرعان ما أدار «أبو ربيع» الماكينة الانتخابية لللائحة معارضة الحريري السياسية في عام 1996، وكانت النتيجة تمكّن واكيم من الفوز بمقعد نيابي، فانتطلقاً مع آخرين، أمثال أمين قموهيه وسعيد فرنجية وعلي منعم لتأسيس «حركة الشعب»، لتكون رأس حربة في مواجهة مشروع رفيق الحريري وسياسته التدميرية لهوية بيروت.

في موازاة ذلك، تسلم الحلبي منصب مدير شؤون الموظفين ومدير العلاقات العامة في تلفزيون الجديد، ولا يزال يحمل هذه الصفة وأكثر منها عملياً حتى الآن. في عام 2005، ترشح «أبو ربيع» عن المقعد السنّي في بيروت من دون أن يوفق، ثم خاض الانتخابات الفرعية التي خذله فيها ثنائي حركة أمل وحزب الله اللذين قاطعا الانتخابات عوضاً عن مساندته فيها. لم يتغيّر المقاتل الشيوعي يوماً. تدرج من نائب رئيس حركة الشعب إلى رئيسها، ليكون أول رئيس فعلي لها بعد تنحّي رفيقه نجاح واكيم. معاً حاربوا الحريري الأب والابن، في الأوقات الأشد حرجاً، إذ لم يكن من السهل أبداً الوقوف في وجه بلدوزر مدعوم محلياً وعربياً ودولياً. معاً حاولوا إفشال مشروع «سوليدير»؛ صحيح أنهما لم يحصلا على الأكتاف ولا ترجم انتصارهما في صناديق الاقتراع «ولكنهما كسرا بقوة الشعب مشروع الحريري وشركائه»، على حدّ تعبير أحد رفاقهما. كان لا بدّ في النهاية من أن تهزم منازل الفقراء الصغيرة ناطحات السحاب التي باتت مهوثة اليوم للمصارف ولا قدرة لأصحابها على تسديد ثمنها. حتى بلدية بيروت استدركت الأمر، فهرعت يوم عيد رأس السنة إلى استنساخ سوق «أبو ربيعة» الذي شاركت حركة الشعب في تأسيسه، بهدف فتح وسط المدينة أمام كل البيارة.

اليوم يخوض إبراهيم الحلبي معركته مجدداً «باسم الشعب»، عن أحد المقاعد السنّيّة في دائرة بيروت الثانية. لا يملك الحلبي عصا سحرية، ولكنه يؤمن بأن دخول مجموعة جديدة إلى المجلس النيابي من شأنها تلويته والضغط باتجاه إعادة دوره التشريعي والرقابي. والأهم أن قدرة المحاسبة والمراقبة ستكون أكبر، إذ يصعب فعلياً، وفقاً لأبو ربيع، أن يحاسب المجلس النيابي نفسه في مجلس الوزراء. يسأل «أبو ربيع» البيارة الذين اختبروا السلطة السياسية نفسها، منذ عام 1992 وصولاً إلى اليوم، عما قدّمته هذه السلطة لهم سوى الوعود الكاذبة بالماء والكهرباء وأدنى سبل العيش بكرامة، ليقول لهم: «سواء، قدرتنا على التغيير أكبر».

رلى إبراهيم

يصعب تسخيف المعركة الانتخابية في العاصمة وإخراجها من الإطار السياسي أو الهوية. هو صراع يتأرجح بين مشروعين: الأول، يريد تغليف العاصمة بعلمة براقة عالية الثمن ويجعلها متاحة للأثرياء فقط. عملياً، هي شركة عقارية تنهب ممتلكات البيروتيين وتسيج مدينتهم بأحزمة باطون لمنهم من دخولها وتسهيل بيعها في البورصات العالمية. الثاني، يرى في بيروت أكثر من بقرة تدر الأموال؛ يؤمن بأن أهلها، الفقير منهم والغني على حدّ سواء، هم ثروتها ويجب الحفاظ عليهم لا تهجيرهم إلى البلدات الملاصقة. يريدها بيروت «الشعب» التي تصدح بصوت الزعيم العربي جمال عبد الناصر، بيروت الطريق الجديدة وزاروب الطمليس وحي اللجا والباشورة وزقاق البلاط وعائشة بكار والزيدانية.

«سقط المشروع الأول بفعل الشعب، وبنضال المجموعات التي رفضت تسليم مفاتيح العاصمة إلى آل الحريري وما يمثلون. بالبيوت الصغيرة المختبئة في الأحياء الفقيرة التي حمت بيروت بأجسادها وأجساد أولادها»، يقول رئيس «حركة الشعب» إبراهيم الحلبي، الذي كان واحداً من أولئك الفتية الذين امتشقوا السلاح، وهم في مقتبل العمر، دفاعاً عن عروبة بيروت ولبنان.

لم يتنه الحلبي يوماً في تحديد خياراته ولا القضية التي يؤمن بها. هو ابن البيت الذي فتح أبوابه 40 يوماً لتلقّب التعازي بوفاة جمال عبد الناصر. المنزل المتواضع بطبقته المشدّتين في أوائل القرن الماضي، في شارع أبو سهل في محلة الفاكهاني في قلب الطريق الجديدة. منزل لطالما حجّ إليه الثوار. منه انطلق «أبو ربيع» في مشواره النضالي.

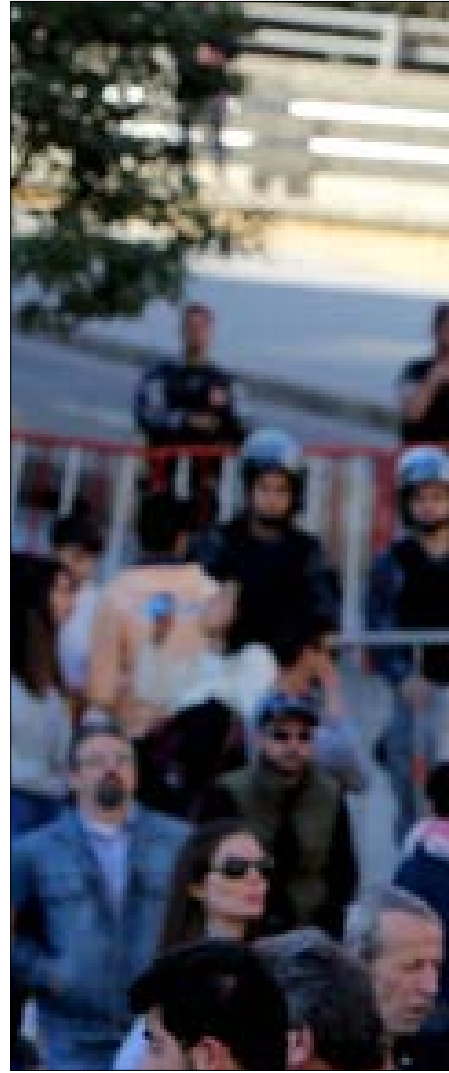
(هيثم الموسوي)



وقال إن العونيين «يملكون قوة تأثير في القرى المسيحية فقط، وهذا لا يكفي لتشكيل لائحة أو فرض مرشحين حزبيين»، علماً بأن القيادة المركزية للحزب الشيوعي توافقت على عدم التحالف مع قوى مشاركة في السلطة.

وهل سيدعم التيار الحر اللوائح الاعتراضية في الجنوب؟ يجيب كريم: «في الاتحاد قوة». أما عباس شرف الدين، فيقول لـ«الأخبار» إنه قدم مبادرة لتجميع قوى الاعتراض في لائحة واحدة من جهة وتقريب وجهات النظر بين العونيين وقوى الاعتراض من جهة أخرى، وذلك من أجل التوصل إلى تفاهات انتخابية تمكّن من خرق لائحة السلطة. وأوضح أن التيار ليس لديه مرشح حزبي في هذه الانتخابات، رغم وجود منشقين لديه، واحد في كل من النبطية ومرجعون - حاصبيا، واثنين في بنت جبيل.

في هذه الأثناء، يواصل الحزب الشيوعي رحلة سياسية تهدف إلى توحيد قوى الاعتراض في لائحة واحدة. ويبدو أن المحاولات التي بذلت في الأيام الأخيرة أنضرت في «الجنوب الثالثة». في اللقاء التشاوري الأول الذي عقده «قوى الاعتراض والتغيير الديمقراطي» في النبطية أمس، سجلت مشاركة الجزء الأكبر من المرشحين المعارضين «الذين أبدوا استعدادهم لوضع أنفسهم بخدمة اللائحة»، فضلاً عن مشاركة مجموعة «بدنا نحاسب» التي نفت أن تكون قد دعت إلى لقاء في الوقت نفسه. حسين كريم توقع أن ترسو بورصة اللوائح قبيل الانتخابات على ثلاث لوائح هي: لائحة حزب الله وحركة أمل، ولائحة الحزب الشيوعي وحلفائه، ولائحة أحمد الأسعد، علماً بأن «الشيوعي» لن يفرض أسماء على اللائحة، باستثناء ترشيح حزبي واحد في كل من الأقسمة الثلاثة، بالإضافة إلى تسمية المرشح عن المقعد الأرثوذكسي الذي يرجّح أن يكون الياس جرادي.



وعلى هذا النحو، تبلغ مرشح الحزب الشيوعي عن المقعد الشيعي في بنت جبيل الطيب أحمد مراد دعم العونيين له. وفي هذا السياق، أوضح القيادي في الحزب الشيوعي ومنسق اللجنة الانتخابية لقوى الاعتراض في قضاء حاصبيا - مرجعيون حسين كريم لـ«الأخبار» أن الحزب الشيوعي والتيار الحر في الجنوب عقدا أكثر من جلسة ولكنهما لم يتوصلا إلى أي اتفاق.

في انتخابات 2018، يبدو الشارع الصيدواوي متعاطفاً مع أسامة سعد. هناك من يردد أنه «أن أوان التعويض على العائلة التي أعطت من أجل المقاومة وفلسطين ومن أجل الصيادين والفقراء». وحتماً، سيستفيد أسامة سعد من دعم بري وحزب الله.

في كلمته، حدد سعد برنامجاً الانتخابي المعجل المكرر: «تحرير الشعب من الطائفية والفساد والاستغلال، والتغيير الشامل على كل الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعية، وبناء الدولة المدنية الديمقراطية العادلة. الأمر الذي يتطلب بناء كتلة شعبية وازنة يحتل فيها الشباب موقع الصدارة، وتأسيس جبهة سياسية موحدة لقوى التغيير الحقيقية، وتصعيد النضال السياسي والشعبي من أجل إحداث تغيير جذري في موازين القوى في المجتمع».

2005 حتى الآن. وفيما كان النائب الراحل مصطفى سعد عنصراً ثابتاً على اللائحة المدعومة من حزب الله وحده ولاحقاً المدعومة من أمل أيضاً، تبدلت الأحوال مع شقيقه أسامة الذي انتقل المقعد إليه بالتزكية، في المرة الأولى عند وفاة مصطفى بمرض عضال في عام 2002 وفي الثانية، بعد اغتيال الرئيس الحريري، بالشراكة مع النائبة بهية الحريري. في عام 2009، خاض أسامة سعد معركته الأولى مدعوماً من حزب الله، بوجه الحريري والسنّيورة. تكليف «زي ما هبي» هزم سعد بفارق نحو عشرة آلاف صوت عن السنّيورة وأكثر من 12 ألف صوت عن الحريري. بعض مناصريه لم يحملوا المسؤولية لـ«المستقبل» فقط، بل لحلفاء سعد «الذين باعوه في مؤتمر الدوحة». لم يدع سعد إلى المؤتمر، ولم يحسب حسابه في مكثباته.